

قصيدة رجائي بحبك للشاعرة آلاء القطراوي دراسة حجاجية

A poem "Raja'i I Love You" by the poet Alaa Al-Qatrawi
Argumentative study

د. تهاني سالم محمد أبو صلاح¹
الكلية العربية للعلوم التطبيقية (فلسطين)
كلية الزيتونة للعلوم والتنمية
(فلسطين)

Toto72799@hotmail.com

تاريخ الاستلام: اليوم / الشهر / السنة
تاريخ القبول: اليوم / الشهر / السنة

ملخص:

اشتمل البحث على نظرية الحجاج ، وتطبيق سلالمتها على قصيدة رجائي بحبك للشاعرة الفلسطينية آلاء نعيم القطراوي، التي تتحدث فيها عن حب الله وترسم صورة مستمدة من أنوار الروحانيات المتجلية بحبه المعترفة بفضل المتوجه لها بالرجاء. فالسلام إما أن تكن تنازلية أو تصاعدية أو تراكمية وجميعها تهدف إلى جعل المتلقي يقتنع بالنص ويعمل بمقتضاه .

Abstract :

The research included the theory of pilgrims, and the application of its scales to the poem "Raja'i I Love You" by the Palestinian poet Alaa Naim Al-Qatrawi, in which she talks about God's love and draws a picture derived from the lights of spirituality manifested in His love, acknowledging His bounty and turning to it with hope.

The scales are either descending, ascending, or cumulative, and all of them aim to make the recipient believe in the text and act accordingly

1. مقدمة :

إنَّ للخطاب أطراف وللحجة سند إليه يضاف، فلا ينشأ النص من عبث وبدون دوافع، ولا يقنع به المتلقي من غير جعل السياق يمتلئ بالحجج والأدلة والبراهين التي توضح له الصورة وتجلو الضوضاء عن الفكرة وتبث له الإشارة . وتتناول الباحثة نظرية الحجاج في شكل يرسم سلالمت الحجاج من خلال القصيدة، موضحة ما تسوقه المقاطع من أنوار تنير للمتلقي معرفته .

أهداف البحث

- التعرف على مفهوم الحجاج
- التعرف على سلالمت الحجاج

- توضيح عمق القصيدة وما تقدمه من حجج وبراهيم وأدلة
تقنع المتلقي بحب ربه وعظمة رحمته وقربه.

منهج البحث

تم استخدام هذا المنهج للكشف عن تطبيق نظرية الحجاج
لتقديم الحجة والإقناع على قصيدة رجائي بحبك.

الدراسات السابقة

1. الخطاب الحجاجي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن
عربي، إعداد: الشهيد حمزة، إشراف: عز الدين صحراوي،
رسالة دكتوراه، جامعة باتنة الحاج لخضر، الجزائر،
2016م.

2. السلام الحجاجية في القصص القرآني، إعداد: بوسلاح
فايزة، إشراف: بن عيسى عبد الحليم، رسالة دكتوراه،
جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية، 2014م.

3. بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج، حمدي منصور
جودي، جامعة محمد خضير، بسكرة، مجلة حوليات المخبر،
عدد 1، 2013م.

أقسام البحث، وتشمل:

- مفهوم الحجاج
- السلام الحجاجية
- قصيدة رجائي بحبك شرحاً وتحليلاً

مفهوم الحجاج

الحجاج لغة

ومما وضعه ابن منظور في معنى الحجة، قوله: " حَجَّ:
الْحَجُّ: الْقَصْدُ. حَجَّ إِلَيْنَا فَلَانٌ أَيْ قَدِمَ؛ وَحَجَّه يَحْجُّهُ حَجًّا:
قَصَدَهُ. وَحَجَّجْتُ فَلَانًا وَاعْتَمَدْتُهُ أَيْ قَصَدْتُهُ. وَرَجُلٌ مَحْجُوجٌ أَيْ
مَقْصُودٌ. وَقَدْ حَجَّ بَنُو فُلَانٍ فَلَانًا إِذَا أَطَالُوا الْإِخْتِلَافَ
إِلَيْهِ... "

والْحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ "2

ويلاحظ الباحث أنَّ القصد والخصومة والخلاف والبرهان هي
ما ترمو إليه نظرية الحجاج ففيها تقديم الدليل
لإقناع الطرفين المتخاصمين، كما أنَّ قوله الحجاج العظم
حول العين يلفت النظر ويجذب الانتباه إذ أول ما يلاحظ
نظر الشخص للآخر وجهه ومن ذلك يتحصل قصد الخطاب فأول
ما يراد تحصيل القصد.

الحجاج اصطلاحاً

يقصد بالحجاج بأنه " خطاب حوارى تواصلى يقوم على
المحاجة الاستدلالية، وتوظيف الحجج والأدلة والبراهين
من أجل التأثير في المخاطب وإقناعه، وجعله يقتنع بما
يقدم إليه من حجج سليمة أو شبه منطقية أو افتراضية
".³

فتقديم البراهين للإقناع جوهر العملية الحجاجية، إذ "
الحجاج فعالية تداولية خطابية جدلية، وهو تقديم
مجموعة من الحجج التي تخدم نتيجة معينة. وهو أيضا
منطق اللغة والاستدلال المرتبط باللغات الطبيعية. " ⁴

خصائص الخطاب الحجاجي:

- القصد المعلن
- التناغم
- الاستدلال والبرهنة
- الحوارية
- التخطيط
- الإنتقائية ⁵

- السلام الحجاجية

يؤكد السلم الحجاجي بأن الحجج تتدرج قوة وضعفا،
والترتيب فيه لا يخضع للمحتوى الخبري للأقوال، بل
يرتبط بالعلائق الحجاجية الموجودة على مستوى البناء
اللغوي للخطاب، وتساهم واسمات لغوية في إحداثه، وهذه
الواسمات هي الروابط والعوامل الحجاجية ⁶

أشكال السلام الحجاجية، الآتي:

سلم الحجج التصاعدية

على وفق هذا النوع من السلام الحجاجية، فإن المتكلم
يبدأ بإيراد حجة تصاعدياً أي من الحجة الضعيفة
فالقوية ثم الحجة الأقوى، بمعنى أن الحجج في هذا
النمط من السلام يمكن تصنيفها بأنها نوع من مؤكدات
الخطاب لأن الغاية وراء استعمال هذا النوع من الحجج
هو السعي إلى ترسيخ دلالة هذه الحجج في ذهن المخاطب. "⁷

سلم الحجج التنازلية

هذا النمط من الحجج يسير على عكس النمط الأول،
حيث يبدأ المتكلم بطرح حججه تنازلياً، أي بدءاً من
الحجج الأقوى وصولاً إلى أضعف حجة في سلم الخطاب،

والمحاجج كثيراً ما يلجأ إلى هذا النمط من السلام
عندما يشعر أن البدء بالحجج الضعيفة قد يواجه رداً من
المتلقي بحجج أقوى⁸

سلم الحجج التراكية

ينتمي الحجج لهذا النوع من السلام عندما تتعدد
فيه الحجج وتتراكم دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى
إلى الأضعف أو العكس، فكل حجة مستقلة، ومن أمثلة طرق
هذه السلمية: التكرار، الوصف، النفي⁹

رجائي بحبك

رجائي بحبك ألا تغيبا

وألا أُراني وحيداً غريباً

وأني إذا اشتدت النابثات

ظللتُ أناديك حتى تجيبا

وأني إذا ما ابتعدتُ ستبقى

إليَّ

قريباً

قريباً

قريباً

عزائي بأنَّ الجميع غريبٌ

وأني أسمىك دوماً : حبيباً

رجائي بحبك

أني أسيءُ إليك

وأنتك ما زلتَ تُحسنُ

وأني أضجُّ إذا اشتدَّ أمرُ

وأنتك دوماً لقلبي

تُطمئنُ

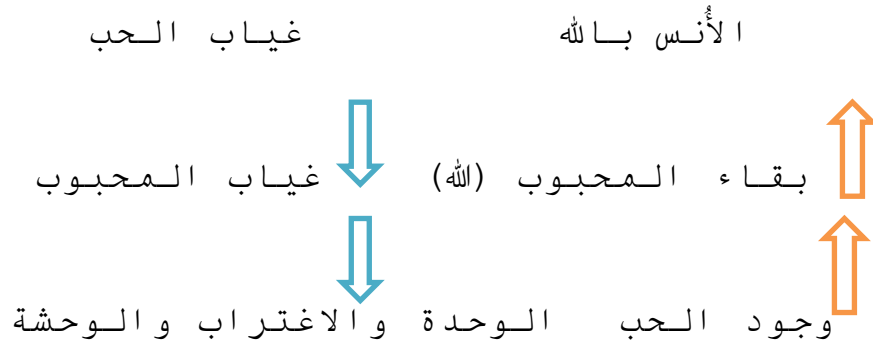
وأني إذا لفني المستحيلُ

يصيرُ المحالُ بإسمك (ممكنُ)

ومهما يُغَرِّبني الحزنُ عني
سأبقى بيُسْرَكَ في العسرِ مؤمِنٌ
رجائي بحبِّكَ مهما سأخطئُ
تمهلْني دائماً
ثم تعفو
وتصبر حين تراني ابتعدتُ
وتفرحْ حين أعودُ وأصفو
فتقرأ في سجدتين انكساري
وتصفح عني
إذا كنتُ أجفو !
فهبني قليلاً من الدفءِ حتى
إذا زارني الشكُّ في الليلِ
أغفو
رجائي بحبِّكَ يا مالكي
رجاءُ المحبِّ لِمَنْ قد أحبّا
رجاءُ المعذَّبِ في بطنِ حوتٍ
لعفوك
كم كان عفوك عذباً
وكم كان هذا المساءُ خفيفاً
إذا قلتُ إسمك
شوقاً وحبّاً
يباركني الضوء من ثغرةٍ
ويصبحُ ضيقُ الأماكنِ
رَحْباً
قصيدة رجائي بحبك شرحاً وتحليلاً
رجائي بحبِّكَ ألا تغيبا

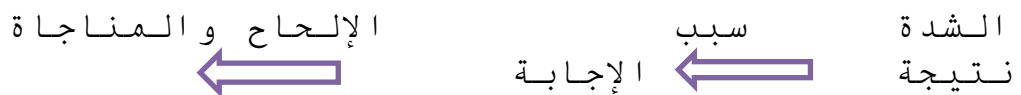
وألا أراني وحيداً غريباً

بدأت الشاعرة النص بالرجاء المنتسب للمتكلم المشير إلى تملكه وتمكنه مما ترحوه به ألا وهو (حبها لله)، فلولا أنها شياجة بحبه لما سألت به، فقد جمعت الرجاء لأن الرجاء منزلة عظيمة من التضرع والحب منزلة عظيمة من القرب، فحاصل الجمع بينهما الأنس بالمحبوب، فتواجد المحبوب له آثاره التي يتمناها العبد في كل أحيانه، فقد مثلت الشاعرة ذلك في صورة تقدم بها دليل وحجة وبرهان أمام المتلقي لتقوده إلى الاقتناع بالحجة، كما هو موضح في الشكل الآتي:



وأني إذا اشتدت النائباتُ

ظللتُ أناديكَ حتى تجيباً



فالشدة سبب يقرب المحب من محبوبه (العبد من ربه) برابط الدعاء له والتضرع بين يديه، وليس سبباً للبعد عنه والتبرم من حاله، واستخدام الفعل (ظللت) دلّ على الإلحاح والثبات رغم تأخر الإجابة فهي تتأخر لكنها لا ريب تأتي.

وأني إذا ما ابتعدتُ ستبقى

إليَّ
قريباً
قريباً
قريباً

تكرار لفظ (قريباً) تأكيد على ما يحمله من معاني عميقة ترفع من مكانة المحبوب (الله) عند الشاعرة، ويدل اللفظ على أمرين، وهما: الشاعرة تبقى وتحفظ بقربه مهما تغير حالها، والمحبوب إذا اقترب من العبد لا يبتعد عنه وهذا من هبات حسن قربه إذ لا يقابل فعل العبد بفعل يماثله.

عزائي بأنّ الجميع غريبٌ

وأنّي أسميكُ دوماً : حبيباً

وجود لفظ (دوماً) يدل على ثبات الشعور فمهما أحسن البشر أو أساؤوا فهم في حضرة المحبوب فناء، فجمعت في المحبوب الاستغناء والكفاية.

رجائي بحبك

أنّي أسيءُ إليك

وأنّك ما زلتَ تحسّن

وأنّي أضجُّ إذا اشتدَّ أمرٌ

وأنّك دوماً لقلبي

تطمئن

وأنّي إذا لفّني المستحيلُ

يصيرُ المحالُ بإسمك (ممكن)

ومهما يُغزّبنِي الحزنُ عنّي

سأبقى بيُسركَ في العسرِ مؤمِنٌ

مقطع يكشف عن عجز العبد عن إدراك مآرب الشدة حتى يُحاط باللفظ الرباني، وقصر حدوده المستحيلة التي هي بقدرة الله كائنة، فاليقين يجعل المستحيل ممكناً، والإيمان يقلب الحزن فرحاً والعسر يسراً، وهذا اليقين والإيمان والظن الجميل يستمدّه العبد من رأيته كرم الله عليه في قول الشاعرة بداية المقطع حيث يقابل الإساءة بالإحسان وبالتالي سيقابل المستحيل بالإمكان.

وتكرار (أنّي، أنك) فيهما التفاف بين ضمائر الخطاب والغيبة، دلالة وتأكيد على تبادل الحوار الشاعرة مع الله عن قرب، فالعبد ذليل والله سميع.

ويتضح من خلال الشكل الآتي المقارنة بين شأن العبد
وشأن محبوبه (الله) :

ممکن

مستحيل

تطمئن

أضح

تحسن

أسىء

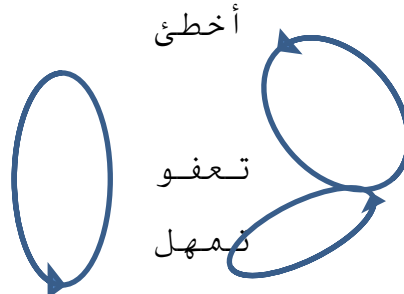
فالعبد أفعال جوارحه وتوقعات مشاعره في انحدار،
بينما جلالة أفعاله عز وجل في عالية تعلو بفعله
وبعبده .

رجائي بحبك مهما سأخطئ

تمهلني دائماً

ثم تعفو

قول الشاعرة (دائماً) دلالة على ثبات مقابلة فعل الخطأ
بالعفو، وهذا يمثل حال العبد مع ربه فيكأنه حركة
دورانية تزهو بعظمة حلم الرب عن عبده، كما هو موضح
في الشكل التالي:



وتصبر حين تراني ابتعدتُ

وتفرخ حين أعودُ وأصفو

فتقرأ في سجدتين انكساري

وتصفح عني

إذا كنتُ أجفو !

قالب من البهاء المندرج في درج المقطع، ليثبت
للمتلقي كيف يرتقي للوصول إلى صفح الله عنه، فأفعال

العبد خطوات تأهله وتعلو به، وفعل الله ثابت في القمة،
كما هو موضح في الشكل التالي:

تفرح وتصفح



أتذلل بالكسار



أعود وأصفو



أبعد وأجفو

فهبني قليلاً من الدفء حتى

إذا زارني الشك في الليل

أغفو

إنَّ عقل العبد ذو دواليب تغدو به وتجيء، فإذا كان في
لحظة شك سألت الشاعرة ربها بمجيء لمحات من دفء قربه
فيغفو العبد مستشعرًا إحاطة حب الله ورأفته به، وقولها
(أغفو) إذ لو غفى العبد تغيرت الأفكار فغاب الشك وإذا
استيقظ حل اليقين.

اليقين



منع الشك



طلب العفو



الشك

رجائي بحبك يا مالكي

رجاء المحيِّ لِمَنْ قد أحبّا

رجاء المعذب في بطن حوتٍ

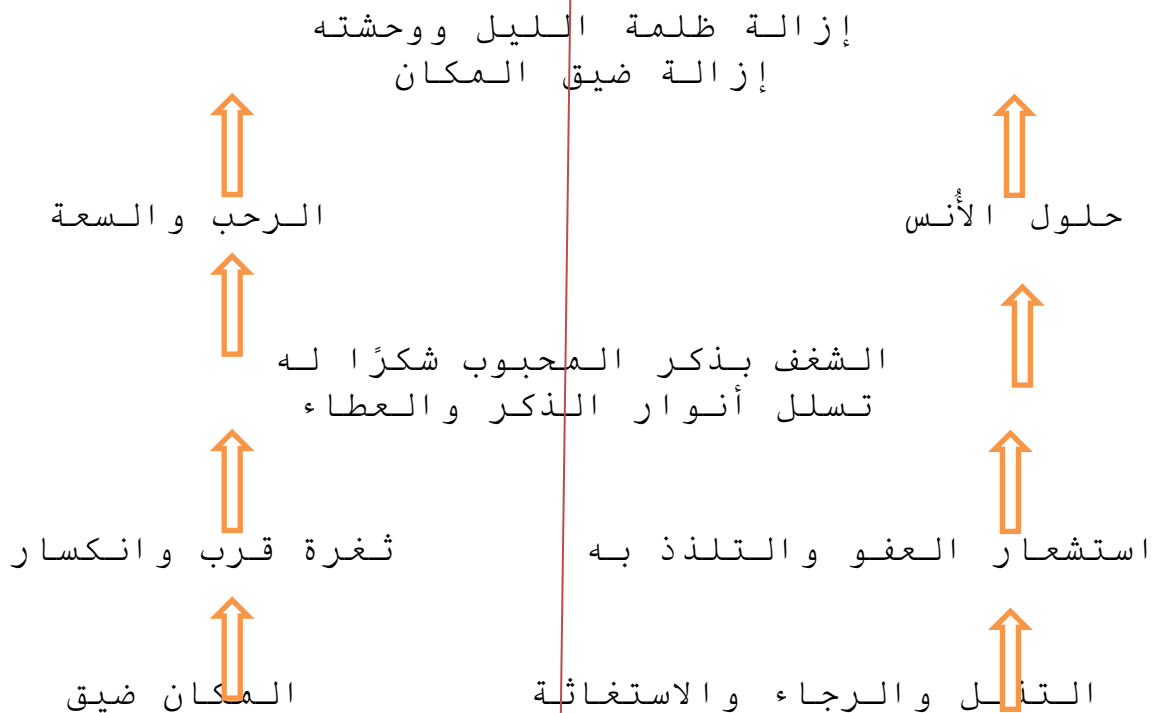
لعفوك

كم كان عفوك عذباً
وكم كان هذا المساء خفيفاً
إذا قلتُ إسمك
شوقاً وحُباً
يباركني الضوء من ثغرة
ويصبحُ ضيقُ الأماكنِ
رَحْباً

لقد رسمت الشاعرة في هذا المقطع مشاعر روحانية فياضة
يجملها القول: بأنَّ المحب إذا رَجى محبوبه أجابه،
والمحبيب إذا رأى مَنْ يحبه معذب ويناديه أغاثه، وهذا
شأن العبد مع ربه، ولطف الله مع عبده.

نعم، جاءت المشاعر المتهيجة بحب الله فأضأت الزمان
(الليل)، ووسعت المكان الضيق، وأشرقت النفس الراجية،
فعفو الله إذا حل وقربه إذا تمكن لا يقتصر بإنزال الرحمة
والانشرحاح في نفس العبد فقط إنما يغير نظرتَه للزمان
والمكان ليتناسب مع سعة العطاء الإلهي ليكتمل الشعور
بالرضا، كما هو موضح في الأشكال التالية:

فإذا حل الجبر والنور والعفو والرحمة والقرب من الله فلا اعتبار لزمان أو مكان.





الليل مظلم موحش ثقيل

إنَّ الأسماء والأفعال المتواجدة في النص تقارن بين الفعل البشري والفعل الرباني في مقابلة متضادة عجيبة قديرة، على النحو التالي:

الأفعال تنوعت فكان منها للمحبوب ومنها للوسط والمحيط ومنها للعبد

أفعال المحبوب	أفعال الوسط والأسباب المحيطة بالعبد	أفعال العبد
تجيب	تشتد الأزمات	ابتعدت
ستبقى	يلف المستحيل	أسيء
تحسن	يغربّ الحزن	أضح
تطمئن	-	سأخطئ
تمهل	-	أناديك
تعفو	-	أعود
تفرح	-	أصفو
تصفح	-	سأبقى

فالملاحظ أنَّ أفعال المحبوب (الله) جميعها بكلّيتها إيجابية وخيِّرة ومبشرة، أما الوسط فهو متشتت مبهم مضر، بينما أفعال العبد تراوحت بين السلبية والتقصير والإيجابية بالعودة والصفاء، وهذا يقدم حجة أمام المتلقي بأنَّ أفعال الله تحمل الخير المطلق مهما كانت الظروف والوسط والمحيط ومها تبرم العبد وتقلبت أحواله.

الأسماء

وجدت في النص بصفات المحبوب، وخواص المحب، ومنفردات الوسط، كما يتضح في الجدول التالي:

المحبوب	الوسط	المحب
حبيبا	الجميع غريب	رجائي
قريبا	الأمر مستحيل	قلبي

مؤمن	الحزن عسير	مالكي
------	------------	-------

فيتضح بأنَّ حال المحبوب القرب والتيسير والتفضيل،
وحال العبد رجاء وحب وانكسار وإيمان، وحال الوسط
منغصات، وهذا يثبت للمتلقي بأنَّ مهما كان حال الوسط لا
تجيب حب العبد لربه وثقته به، لأنَّ أسماء الوسط أمام
قدرة الله تُقلب إلى أفعال من الاستئناس والإمكانية
والتيسير فيحل محل الكدر الصفو والبسط والسعة والأمل.

4. خاتمة:

لقد حملت القصيدة في ربوعها نورانيات روحانية،
تصلح للمناجاة بين العبد وربه، ففيها إقرار من بضعف
العبد وجهله وعظمة الله ورأفته.

النتائج

إنَّ اللفت في النص تكرر (رجائي بحبك) الذي هو
عنوان القصيدة يأتي تأكيداً على أنَّ الرابط بين العبد
وربه هو (الحب والرجاء)؛ فإذا أحبه أطاعه وإذا رجاه
وهبه.

فقد جعلت الشاعرة من النص جوهرة تبث في نفس
المتلقي اليقين بربه وحبه ورجائه والثقة به، فسأقت
الحجج والبراهين والأدلة والخطوات الراسخة التي تثبت
عزائم السير إلى المولى بعاطفة الحب.

نوعت الشاعرة في استخدام السلام الحجاجية، فتواجد
في النص السلام التنازلية والتصاعدية تحمل في
ثناياها خصائص الحجة بالإقناع.

6. قائمة المراجع:

تدوّن المراجع في آخر المقال وتذكر البيانات الأساسية
وفق الآتي:

- أبو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج، الأحمديّة
للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010م.
- جميل حمداوي، حجاج الخطاب أو الخطاب الحجاجي،
صحيفة المثقف، العدد 4811، د.ب، 2019م.
- خديجة بوخشة، الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب
المتنبي، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الحليم بن
عيسى، جامعة وهران، الجزائر، 2010م.
- عبد السلام بوفار، الروابط والعوامل الحجاجية في
رسائل الجاحظ، 2016م، (جامعة مولود معمّر ري تيزي
و زو ، رسالة ماجستير)، إشراف: عمر بلخير.

- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ.
- مزاحم مطر، مروة حسام كاظم، السلام الحجاجية في كلام الإمام الحسن عليه السلام، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العراق، عدد 340، 2018م.

هوامش البحث :

- ¹ تهاني سالم محمد أبو صلاح
- ² ابن منظور، 1414هـ، ج2 / ص226 - 228 - 229
- ³ (جميل حمداوي، 2019م
- ⁴ (العزاوي، 2010م، ص9
- ⁵ (خديجة بوخشة، 2010م، ص63 - 64
- ⁶ (عبد السلام بوفار، 2016م، ص44
- ⁷ (مزاحم مطر، 2018م، ص3
- ⁸ (. مزاحم مطر، ص9
- ⁹ (مزاحم مطر، ص13 - 14